((كيف لمسلم أن ينتحر ؟))

عبدالله بن محمد حفني

إمام وخطيب جامع هيا العساف بالجميزة

موقع جامع هيا العساف : <http://www.hayaalassaf.com>

القناة الرسمية على اليوتيوب : https://www.youtube.com/channel/UCq3VB0Xi1Zorm3\_Hje4JaCw

الأولى

وقفت هذا الأسبوع على أمرٍ جلل، وحدثين كبيرين، إي والله موقفان عظيمان في مكة، وفي مهبط الوحي وقبلة المسلمين.

وقفت مع أحد رجال الأمن على شاب في التاسعة والعشرين من عمره ، في زهرة شبابه ، وكامل قواه العقلية ، قد خرج بسيارته قريبا من حدود الحرم، وأغلق سيّارته على نفسه ثمّ أطلق النار على جسده ، وقتل نفسه منتحراً ، فخفت ولم أستطع النزول والوقوف على الحادثة ، واكتفيت بالنظر عن بعد من شدّة الهلع والخوف الذي أصابني ، وفي يوم الأربعاء من هذا الأسبوع تتكرر الحادثة لرجلٍ مسلم وبكامل قواه العقلية يلقى بنفسه من إحدى المباني الشاهقة منتحراً فتساءلت وإذا بأحد رجال الأمن يقول لي : أصبحت ظاهرة الانتحار في مكّة لا تقل عن أربع إلى خمس حالات شهرياً بل تزيد .

الله أكبر ..

انتحار ، وقتلٌ للنفس ، وإزهاق للروح في مكة في مهبط الوحي ، ومتنزل الذكر الحكيم ، ومبعث الرسول الأمين .

مكة التي تهوي إليها الأفئدة ..

مكة التي تطمئن فيها القلوب ، وتدمع فيها العيون ..

مكة التي فيها البيت العتيق الذي جعله الله للنّاس مثابةً وأمناً وهدىً للعالمين ..

مكة التي تنشرح فيها الصدور، وإليها تشدّ الرحال، ويطاف ويحج بالبيت الحرام ..

لا حول ولا قوة إلا بالله ..

كيف لمسلم أن ينتحر وهو يقرأ قوله تعالى: ﭽ ﭹ ﭺ ﭻﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ النساء: ٢٩

ويقرأ قوله تعالى : ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨﮩ ﭼ البقرة: ١٩٥

كيف لمسلم أن ينتحر والنبي يقول : «مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا» متفقٌ عليه .

ويقول : «الَّذِي يَخْنُقُ نَفْسَهُ يَخْنُقُهَا فِي النَّارِ، وَالَّذِي يَطْعُنُهَا يَطْعُنُهَا فِي النَّارِ» متفقٌ عليه .

والله إن الإنسان ليعجب !

شبابٌ وفتيات ، رجالٌ ونساء في كامل قواهم العقليّة والمستقبل أمامهم فلماذا ينتحرون ؟

لماذا يلقون بأنفسهم إلى التهلكة ؟

لماذا يقتلون أنفسهم ؟

أهي أمراضٌ نفسيّة ؟

فلم لم ينتحر نزلاءُ المستشفيات النفسية ؟

أهي أوضاع اقتصادية وضوائق ماليّة ؟ فكم من الفقراء نعرفهم بسيماهم فَلَمْ ينتحروا ، بل هم من أسعد النّاس.

أم هي مشكلات أسريّة ؟

وهل تحلُّ المشاكل الأسريّة بالقتل والانتحار ؟

إن الإنسان ليتساءل ماذا دهى هؤلاء ؟

فلماذا ينتحرون ؟

لقد ارتفعت نسبة الانتحار في بلادنا بشكلٍ مهيب، فالأرقام مخيفة ، ونسبة الانتحار تزيد .

هذا يقتل نفسه شنقاً ، وهذا يقتل نفسه خنقاً ، وهذا ينتحر بإطلاق الرصاص على رأسه وبدنه ، وهذا يتناول سمّاً ، وهذا يحرق نفسه ، وهذا يلقي بنفسه من علو ، وهذا يقطع شرايينه لقلة ذات يده، وهذا لفشله الدراسي وآخر بسبب ظروفه الأسرية، وآخر لخسارة عشيقته، ولا حول ولا قوّة إلا بالله .

قبل سنوات كنّا نتحدّث في عجب عن ارتفاع مهول في القتل والانتحار في دول الغرب والدول الإسكندنافية تحديداً، تلك الدول التي غرقت في عالم المادة، والتقنية، والألعاب الترفيهية، بل استماتت في المتع الجنسية، وصناعة الخمور والمسكرات بأنواعها فأدمنوا الشهوات إدماناً، وعكفوا على اللذات بأنواعها ثم ماذا ؟

تسابقوا في قتل أنفسهم ، وإحراقها ، وخنقها ، وشنقها ، وقتلها بالرصاص ، وملذات الدنيا نصب أعينهم وبين أيديهم ، فنتساءل في دهشة لماذا ينتحرون ؟

لماذا يقتلون أنفسهم ؟

فيجيبهم العالمون بالله الذين علموا أنّ هؤلاء الفجرة قد أعرضوا عن الله، ونسوا حكمة خلقهم، وسرّ وجودهم، وظنّوا أنّ الحياة لعباً ولهواً فعمّروا دنياهم ، وخربوا آخرتهم ، وأقبلوا بخيلهم ورجلهم على لذات الدنيا ، ونسوا غذاء القلوب والأرواح ﭽ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽﯾ ﭼ المجادلة: ١٩ فعذّبهم الله بالضيق ، والضنك ، قال تعالى : ﭽ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥﭦ ﭼ الأنعام: ١٢٥

ﭽ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﭼ طه: ١٢٤ والضنك هو الضيق ، فيعيش أحدهم ضيقاً ماديّاً ، وضيقاً نفسيّاً ، وضيقاً روحيّاً ، وضيقاً أسريّاً حتى تضيق عليه حياته فيلقي بنفسه في التهلكة والانتحار.

وها نحن اليوم وبعدما سِيقَتْ إلينا لذائذُ الدنيا ، وَصَبَّتْ علينا وسائل التقنية الفساد صبّاً ، وانتقلت خلاعة الفسق والفجور عبر هذه الوسائل المدمّرة إلى صغارنا قبل كبارنا ، وإلى نسائنا ورجالنا وبيوتنا .

وركّز الغرب الخبيث ، والإعلام الفاجر ضغطه على القلوب والأرواح ، فزينوا الرذائل ، وهيجوا الغرائز ، واستماتوا في صناعة شبابٍ وأجيال ضيعوا الصلاة في المساجد ، وهجروا الذكر والقرآن ، وأدمنوا الشهوات وتتبّع العورات .

فأصبحنا يا كرام أمام طوفان اللذّة الحيوانيّة ، والمتعةِ الجنسيّة ، فوقع ما لم يكن في الحسبان ، ومارت الدنيا بنا موراً كاسحاً ، وزلزلتنا الشهوات والتقنيات ، ففرحت النفوس فرحاً ضيقاً ، وعاشت سعادة مؤقتةً ، وتمتّعت ولكنّه متاعٌ قليلٌ حقير ، ثم ماذا ؟

سئمت النفوس اللعب واللهو ، سئمت الترفيه والفساد ، سئمت الخنا والزنا الغنا، فدبَّ في النّفوس القلق والأرق ، والضيق والاكتئاب ، وها هي موجة الانتحار تساق من بلاد الغرب الكافرة إلى بلاد التوحيد ومهبط الوحي والنور ، فضجّت الصحف بأخبار ابتلاع السمّ ، وإطلاق الرصاص ، والشنق ، والحرق ، والازدياد متواصل ..

يا كرام .. خذوها من الروح إلى الروح ، ومن القلب إلى القلب ، إن العبد بلا إيمان ، بلا قرآن ، بلا صلاة ، بلا طاعة ، يعيش في ضنكٍ وشقاء ، ويتقلب في ضيقٍ وعناء وإن زخرفت له الدنيا ، وتقلّب في شهوات البطون والفروج ، فهو كما وصف الله ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ محمد: ١٢

أقول قولي هذا وأستغفر الله

الثانية

لقد خلق الله الإنسان من جسدٍ وروح ، فمن صارت غايته في جسده ، ونسي روحه عاش في القسوة والغلظة والضيق فأنّى لمثل هذا أن يرتاح ويطمئنّ .

يا خادمَ الجسمِ كمْ تَشقَى بِخِدْمَتِهِ

أتَطلُبُ الرِّبْـحَ فيما فيه خُسـرانُ

أقْبِلْ على الروحِ واسْتكمِلْ فَضائِلَها

فَأَنْتَ بالروحِ لا بالجسمِ إنسـانُ

فالصلاة وقيام الليل ، والذكر ، والقرآن ، غذاء للأرواح ، فأي سعادةٍ وحياة للقلب أعظم من أن تعفّر وجهك في التراب ، وتسكب العبرات في المحراب ، وتقرع الباب ، وتنادي بقلبٍ منكسر يا رحيم يا تواب .

والله إنّ للإيمان حلاوة ، والله إنّ للإيمان لذّة ، يقول ابن القيم ~ : (( وذرّة من لذة الإيمان خيرٌ من الدنيا وما فيها )) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ص57.

ولا عجب ، فهذا بلال بن رباح حين باشر الإيمان قلبه وإذا به يتيه على السادة المستكبرين فخراً ويرفع رأسه عالياً ، فينظر إلى أمية بن خلف ، وأبي جهل ، وصناديد مكة ، نظرة البصير للأعمى ، ونظرة السائر في النور إلى المتخبط في الدجى ، ﭽ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﭼ الملك: ٢٢ ويصرخ في رمضاء مكة أَحَدٌ أَحَدْ .

يا كرام .. لقد فقد الكثير منّا الحياة الطيبة..

فقدنا الراحة النفسية، فقدنا الأنس بالله ..

حُرمنا لذة العبادة تشعبت بنا الدنيا ،، أصبحنا مشغولين بفوضى العالم على حساب فوضى أرواحنا .

ترى الواحد منّا عاكف على جهازه، يتابع القريب والبعيد والغثّ والسمين، وقلبه، وروحه في غفلة، وظلمة.

والله إنّ قلوبنا بحاجة إلى سعادة نفس ، وراحة ضمير ، وخلوة روح وقلب .

قلوبنا بحاجة إلى تدبر في آية، وسجدة في ظلمة، ودمعة في خلوة، وصدقة في سر.

قلوبنا بحاجة إلى نفس مطمئنة ، وحياة طيبة، قلوبنا بحاجة إلى سعادة نفس وراحة قلب.

تأمل معي قوله تعالى: ﭽ **ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ** ﭼ النحل: ٩٧

قال ابن كثير ~ : ((الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ تَشْمَلُ وُجُوهَ الرَّاحَةِ مِنْ أَيِّ جِهَةٍ كَانَتْ)) تفسير القرآن العظيم (4/516) .

الحياة الطيبة مصدرها القلب، مظهرها الرضا، دليلها الإقرار بالنعمة، والشكر لمسديها.

فأي حياة أعظم من معرفة الله والإيمان به، وذكر الأخرة، والتوكل عليه؟

والله.. وتالله..

إن في القلب شعثا لا يلمه إلا الإقبال على الله..

وإن في القلب وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله..

لقد كان السلف مع ضيق عيشهم ومسغبتهم من أسعد الناس بربهم يقول أحدهم عن سعادة نفسه وقلبه: إنه لتمر عليَّ ساعات أقول فيها لو كان أهل الجنة في مثل ما أنا فيه الآن لكانوا في عيش طيب.

إي والله إنّ الحياة الطيّبة هي تلك التي قال عنها بعض السلف: مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها! قيل له وما هو قال معرفة الله عز وجل فمن عاش في الدنيا غافلٌ عن ربّه ، غافلٌ عن الدار الآخرة فعيشه عيش البهائم. جامع العلوم والحكم [1/189] .

ويقول أحدهم واصفاً حياته الطيبة ، وراحته النفسية: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف!!

ويقول آخر: إنّه لتمر بالقلب أوقات يرقص فيها طربا.

الوابل الصيب [1/70] .

فهؤلاء الأبرار عرفوا الحياةَ الطيّبة وعبروا عنها.. فأجمعوا على أنّ حسن الصلةِ بالله والتلذذ بطاعتِهِ والفرح بالخلوةِ به سبحانه وتعالى، هو حقيقة الحياة الطيبة ..

تلك هي اللذة الحقيقةُ..

والحلاوةُ التي لا تشوبها مرارةٌ أبداً..

كم هي حلوةٌ بصلاتها وصيامها وقيامها؟

كم هي حلوةٌ بمناجاتها وإخباتها وتذللها؟

كم هي حلوةٌ بتلاوتها ودعائها وذكرها؟

أرأيتم كيف عاش أهلها أنساً وصفاءً وفرحاً واستبشاراً؟

ألا تحبّون أن نعيش مثلها؟

ألا تحبّون أن نتنفّس هواءها ونستنشق عبيرها؟

سامحوني إذا أكثرت من الأسئلة..

لكنني أريد أن أثير شوقي وشوقكم لهذه الحياة الطيبة المؤمنة..

فوا شوقاه إلى تلك الحياةِ الطيبة وأهلها.. وا شوقاه إلى نعيم من قرت عينه بالله فقرت به كل عين وأنس به كل مستوحش.